حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٧)

http://www.aafu.journals.ekb.eg

(دورية علمية محكمة)

جامعة عين شمس

كلية الآداب

ملامح العمران البشري عند ابن خلدون "دراسة مقارنة"

نجاح حسين حمد الهبارنة *

جامعة مؤتة

المستخلص:

يتناول البحث ملامح العمران البشري عند ابن خلدون كدراسة مقارنه للبدو والحضر، وهدفت الدراسة إلى الكشف عن التشخيص الذي قدمه ابن خلدون لطبيعة العمران البشري عن طريق مقارنة السمات والخصائص المميزة لكل من العمران البدوي والعمران الحضري التي أوردها من خلال مقدمته للتوصل إلى تحديد الملامح الرئيسية للعمران البشري ، وتكمن أهمية البحث بأنه يحقق مزيداً من التحليلات المنظمة والأفكار المنظمة التي تصف العمران البشري بشكل واضح، وبالتالي فهماً أعمق لرؤية ابن خلدون للواقع الاجتماعي الذي عايشه ، وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال الاعتماد على مقدمة ابن خلدون كمصدر أساسي كمصدر أساسي للمعلومات ، وتوصلت الدراسة إلى أن ابن خلدون العالم الاجتماعي الوحيد الذي درس المجتمع العربي وفق سياقة الاجتماعي ، فقسم العمران البشري العربي إلى عمران (اجتماعي بدوي وفلاحي) يمتاز بالعصبية القوية وقلة الصنائع ، وعمران اجتماعي حضري يمتاز بالعصبية الضعيفة وكثرة الصنائع بناء على عوامل اجتماعية اقتصادية تتفق مع ما ينادي به علماء الاجتماع في العصر الحديث والذي مازال إلى الآن فيه تشابه كبير بالتقسيم بالرغم من التطور التعليمي والتكنولوجي والتقني والمعلوماتي والحضاري والمدني، لكن بعض تعميمات ابن خلدون عن العمران البدوي والحضري لا يمكن تطبيقها في الوقت الحاضر.

الكلمات المفتاحية: العمران البشري ، العمران البدوي ، العمران الحضري .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

الفصل الأول
خلفية الدراسة وأهميتها

١-١ المقدمة

تعتبر البداوة والتحضر أساس النظرية السوسيولوجية عند ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م)، وقد نظر في أحوال المجتمعات التي عايشها أو قرأ عنها فوجد أنَّ الناس مستقطبين حول فئتين رئيسيتين هما البدو والحضر، ثم نظر في هاتين الفئتين فوجد أنَّ لكل منهما صفات مغايرة تماماً للأخرى إلى حد التضاد، وتعمق أكثر فوجد أنَّ كلاً من البدو والحضر في تفاعل مستمر، فاستنتج أنَّ المجتمع في جميع حوادثه الماضية والمستقبلية ليس سوى نتاج لذلك التضاد بين فئتي البدو والحضر المتصارعتين دوماً (العادلي ، ١٩٨٥م،ص١٩).

فالبداوة والحضارة تمثلان بما تحتويان من ظواهر متناقضة ومتحركة، المحطات الأساسية التي يدور حولها العمران البشري، وإنهما ليستا بظاهرتين منعزلتين إحداهما عن الأخرى، فالبداوة تعتبر البداية الضرورية للعمران والدولة، تماماً كما إن الحضارة تمثل نهايته المحتومة، فالبداوة والحضارة ليستا بظاهرتين جامدتين بل إنهما متغيرتان تغير تلك الحركة العمرانية الدائرية المتجددة، وإنَّ في كلٍ منهما إيجاباً وسلباً، فإذا كان في البداوة شجاعة وشرف، ففيها توحش وفقر وبُعد عن العلوم والفنون، وإذا كان في الحضارة رقي وعلوم وفنون، فإنَّ فيها جبن وميوعة وفساد (شعبان وآخرون ،٢٠٠٧م،ص٨٢).

فالبناء الاجتماعي العربي كما قسمه ابن خلدون بناء اجتماعي بدوي (بداوة و فلاحة) ، وبناء اجتماعي حضري مازال إلى الآن يتشابه في كثير من الجوانب التي أوردها ابن خلدون بالرغم من التطور الحضاري والعمراني الذي طرأ على الشكل الظاهر للحياة ومع هذا مازال كل بناء يحتفظ بقيمه وعاداته وتقاليده ، وعليه فقد جاء هذا البحث بعنوان :" **ملامح العمران البشري عند ابن خلدون: دراسة مقارنة** ".

و سوف يعتمد البحث على مقدمة ابن خلدون كمصدر أساسي للبيانات حيث يتم في ضوءها دراسة سمات ومميزات العمران البدوي والعمران الحضري لأجراء المقارنة بينهما وفق المنهج العلمي الوصفي التحليلي الذي نأمل أن يؤدي إلى فهم واضح لهذا البحث . ووفق هذا المنهج يأتي هذا البحث في ثلاث فصول،الأول : خلفية الدراسة وأهميتها ، بينما الفصل الثاني الإطار النظري ، والفصل الثالث يتضمن المناقشة والنتائج والتوصيات.

١-٢ مشكلة البحث :

درس ابن خلدون المجتمع العربي دراسة واقعية غير نمطية لم يماثله فيها أحد من الباحثين الاجتماعيين على أساس طبيعة تكوينه الخاص به وخاصة ما جرى فيه من صراع بين البداوة والحضارة ، فمشكلة البحث الرئيسية تركز على الملامح الرئيسية للعمران البشري عند ابن خلدون، عن طريق المقارنة بين البدو والحضر، ويمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال التالي : **ماهي ملامح العمرانالبشري عند ابن خلدون؟**

١-٣ أهداف البحث :

هدفت الدراسة إلى الكشف عن التشخيص الذي قدمه ابن خلدون لطبيعة العمران البشري عن طريق بيان السمات والخصائص المميزة لكل من العمران البدوي والعمران الحضري التي أوردها ابن خلدون من خلال مقدمته للمقارنة بينهما والتوصل إلىالملامح الرئيسية المميزة للعمران البشري .

١-٤ أسئلة البحث :

إن الهدف الأساسي من البحث أن يجيب على السؤال التالي :

ماهي ملامح العمران البشري عند ابن خلدون ؟

١-٥ أهمية الدراسة :

تكمن أهمية البحث بالنظر إلى الحقيقة التي مؤداها أن الدراسات التي أجريت حول العمران البشري في الفكر الخلدوني _ على كثرتها _قد خلت ، إلا القليل النادر ، من التحليلات المنظمة وتسلسل الأفكار المنظمة التي تصف العمران البشري بشكل واضح ومباشر. الأمر الذي يحقق مزيداً من الفهم لرؤية ابن خلدون للواقع الاجتماعي الذي عايشه.

١-٦ حدود البحث:

سوف يقتصر هذا البحث على تحديد ملامح العمران البشري لتي أوردها ابن خلدون من خلال مقدمته في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر .

١-٧ منهج البحث :

يعداستخدام المنهج الوصفي التحليلي أنسب المناهج البحثية لتحقيق هدف البحث ، كونه يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ، ولما يلعبه من دور بارز في الإفصاح عن الجانب النظري، من خلال الاعتماد على مقدمة ابن خلدون كمصدر أساسي للمعلومات.

١-٨ الدراسات السابقة:

بالرغم من أن هناك الكثير من الدراسات السابقة التي درست العمران البشري في الفكر الخلدوني، إلا أنها قد خلت ، إلا القليل النادر منها ، من التحليلات المنظمة وتسلسل الأفكار المنظمة والجامعة التي تحدد ملامح العمران البشري بشكل واضح مباشر. ممايجعلها من مميزات هذه الدراسة ، ونذكر بعض من الدراسات السابقة وذات الصلة:

دراسة (الجنحاني، ١٩٨٢م) ، **ابن خلدون والتطور العمراني في المغرب الإسلامي** ، والتي توصل فيها أن كثيراً من الهياكل الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع المغربي مازالت متأثرة تأثراً جلياً بالمظاهر العمرانية التي لفتت انتباه صاحب المقدمة .

دراسة(الدقس،١٩٩٠م) ، **العصبية الخلدونية ووظيفتها الاجتماعية والسياسية**، والتي توصل فيها أن العصبية أقوى في العمران البدوي منها في العمران الحضري وأن أهم وظيفة لها هي الوصول إلى الملك.

دراسة(أبو العنين،١٩٩٠م) ، **التمايز الاجتماعي في العمران البشري : قراءة سوسيولوجية في مقدمة ابن خلدون** ، والتي يبين فيها أن صور التمايز الاجتماعي في العمران البدوي والعمران الحضري بناءًا على محكات (الحسب ، الشرف ، الأخلاق الحميدة ، الثروة ،الجاه)، ففي العمران البدوي ثلاث فئات من البدو : من كان معاشهم على الإبل فقط، ثم من كان معاشهم على الغنم والبقر، وأخيراً من كان معاشهم على الفلاحة ، وفي داخل القبيلة يحتل الشيخ رأس هرم السلطة، أما في العمران الحضري تصنف الجماعات الطبقية من أعلى طبقة ، أهل السلطان ،كبار التجار ،كبار الموظفين،صغار التجار الحرفيين ، ثم فئات قاع الهرم.

دراسة (الدقس، ٢٠٠١م) ، **سوسيولوجيا الصنائع عند ابن خلدون: دراسة في علم اجتماع العمل** ، والتي توصل فيها أن الصنائع أقل وأبسط في العمران البدوي منها في العمران الحضري الذي يمتاز بكثرة الصنائع وتنوعها وتطورها.

دراسة (مغربي، ٢٠٠٦م) ، **الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون** ،والتي يبين فيها أن الحضارة وطريقة حياة الترحال لاينفصلان عن البلاد المغربية من وجهة نظر ابن خلدون، ويشكل العمران البدوي والعمران الحضري طبيعة العمران البشري عندة ويحملان في ثناياهما جرثومة فنائهما، وأن العصبية التي تعني التماسك الاجتماعي أقوى في العمران البدوي منها في العمران الحضري.

دراسة (الكبابجي، ٢٠٠٨م) ، **علم الاجتماع الحضري عند ابن خلدون** ، ومن أهم ما توصل إليه أن ابن خلدون أفرد جزء من مقدمتهلدراسة المدينة تحت مايسمى العمران الحضري ، فالتحضر هو غاية البدو، والصنائع تكثر وتستجاد في العمران الحضري الذي غالباً ما تتسم أخلاق أهل المدينة فيه بالفساد.

دراسة (قمامة ورميلي، ٢٠١١م) ، **البعد الأيكولوجي للعمران البشري في فكر ابن خلدون** ،و توصلا إلى أن البيئة الجغرافية بعواملها الطبيعية والتضاريسية والمناخية ، تلعب دوراً حاسماً في تحديد أمزجة أفرادالعمران البشريوسلوكهم وتباينها من بيئة إلى أخرى ، فالبادية سببت الشجاعة والخشونه لأفراد العمران البدوي ، والفراغ والدعة والترف جعل أفراد العمران الحضري أقل شجاعة وخشونه، كما أن صنائع كلا من العمرانين تتناسب مع البيئة وتختلف عن بعضها البعض .

دراسة (السعايدة، ٢٠١٤م) ، **دراسة تحليلية نقدية للمآخذ على فكر ابن خلدون في نظرته للعرب ونظريتي العصبية والدولة والمنهج الذي اتبعه** ، ومن أهم ما توصل إليه أن العصبية هي الأساس في قيام الدولة وأهميتها منذ تأسيس الدولة حتى .

دراسة (ناصري، ٢٠١٥م) ، **أسس الدولة ومقوماتها عند ابن خلدون**، والتي توصلت فيها أن العصبية تظهر أقوى في العمران البدوي منها في العمران الحضري ، فتخضع العصبية القوية العصبيات الأخرى لسيطرتها وتضمها إليها فتتسع رقعتها الجغرافية، وتكون العصبية قويى=ة في الطور الأول للدولة وضعيفة في الطور الأخير للدولة.

دراسة (فرج الله، ٢٠١٧م) ، **اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية** ، ومن أهم ما توصل إليه أن قراءة ذكية وعميقة لابن خلدون قد تساعدنا على وجود حلول للمشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية ....إلخ، فمقدمة ابن خلدون انجاز علمي اجتماعي ظهر في القرن الرابع عشر سبق فيه الغرب إعلانهم قيام علم الاجتماع في القرن التاسع عشر .

الفصل الثاني
الإطار النظري

٢-١ البدو والحضر

عرَّف ابن خلدون البدو بأنهم قومٌ يعيشون "بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم، لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها" وبأن "البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم... والضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل المدن والحضر سابق عليهما لأنه أول مطالب الضروري... فخشونة البداوة قبل رفه الحضارة، ولهذا نجد التمدن غاية للبدو يجري إليها ووجود البدو متقدم على وجود المدن والأمصار وأصل لها... فقد تبين أنَّ أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر"، وبأن "أهل البدو وأقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر..." (المقدمة ،ص ٤٠٩– ٤١٤).

وحدد ابن خلدون أهل الحضر بأنهم هؤلاء الذين: "تعاونوا في الزائد على الضرورة،واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنق فيها وتوسعة البيوت... ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك... فيتخذون القصور والمنازل،ويجرون فيها الماء ويعالون في صروحها، ويبالغون في تنجيدها... وهؤلاء الحضر... ومن هؤلاء من ينتحل في معاشة الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأنَّ أحوالهم زائدة على الضروري" (المقدمة ،ص ٤٠٨).

٢-٢ مفهوم العمران البشري عند ابن خلدون:

يُعد ابن خلدون من أبرز العلماء الذين عرفتهم الحضارة العربية الإسلامية على مر التاريخ إذ يمكن عدهُ أحد أعمدة التراث الفكري العربي ، فقد كانت منجزاته في علم الاجتماع وفي علم التاريخ علامة فارقة أضافت كثيراً من الإنجازات والأفكار الجديدة إلى الفكر العربي الإسلامي والفكر الإنساني بشكل عام في مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية (السعايدة ، ٢٠١٤، ص٤٩٩)، فتوصل ابن خلدون إلى علم العمران البشري في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع عشر حيث أخضع تشكل التجمع الإنساني للقانون الطبيعي أي العلم ، ثم فسر العلاقات الناشئة داخل ذلك التجمع على أساس طبيعي أيضاً ، وبين بعض أسبابها مُشابهاً لتعريف علم الاجتماع Sociology بأنه : الدراسة العلمية لأنماط العلاقات الاجتماعية وعملياتها بين البشر(Stark,٢٠٠٣,p٢٥). فعلم العمران البشري عند ابن خلدون هو علم الاجتماع ، وهذا يؤكد أن المؤسس الحقيقي لهذا العلم هو ابن خلدون ، وأنه قد سبق أوجست كونت، فمقدمته من أعظم الأعمال الفكرية التي لم يتوصل إليهابعد أي عقل بشري في أي زمان وفي أي مكان Toynbee(p٣٢٢, ١٩٦٥,).

ويرى ابن خلدون إلى أنَّ الاجتماع الإنساني ضروري للإنسان لأن "الإنسان مدنيٌ بالطبع" يحتاج إلى الآخرين من أبناء جنسه لاكتمال وجوده (الحوسي ،٢٠٠٦م،ص٥٨). أي لابد من الاجتماع الذي هو بالمدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران (البستاني ،١٩٥٠م ، ص٢٥).

فالاجتماع الإنساني عنده هو العمران البشري الذي هو "التساكن والتنازل في مصر أو حِله للأنس بالعشير،واقتضاء الحاجات لما في طباعهم في التعاون على المعاش"(المقدمة ،ص ٤٠٧)، وهذا يوضح أن ابن خلدون يقصد بمصطلح العمران "الحياة الاجتماعية (غانم ،١٩٨٩م،ص٣٤٠)، وما ينتج عنها او يرافقها من مظاهر اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية ... الخ (الجابري،١٩٨٤م، ص٤٦٠) ، فالدافع الأول إلى الاجتماع هو الحاجة المادية الطبيعية وهي لا تتم للإنسان إلا بالتعاون مع أبناء جنسه (الحلو،١٩٦٩م، ص ٤٤)، وذلك بهدف إشباع حاجتين أساسيتين لا يستطيع بمفرده تحقيقهما، وهما حاجته إلى الغذاء، وحاجته إلى الأمن والدفاع عن نفسه (شعبان وآخرون ،٢٠٠٧م، ص٧٦).

٢-٣ خصائص العمران البشري:

حسب رأي ابن خلدون هنالك خصائص أساسية معينة من أجل دوام المجتمع البشري (البعلي ،١٩٩٧م،ص ٤٦-٤٩).

١. المجتمع ككل (وليس الفرد بحد ذاته)، يعتبر قوة متماسكة في وجه العوامل البشرية والطبيعية، وهذا يفسر ضرورة الاجتماع الإنساني وحاجة الفرد إلى مساعدة الآخرين للدفاع عنه، فالمجتمع هو أكبر جماعة في منطقة جغرافية معينة.

٢. يحتاج المجتمع البشري إلى حاكم: لابد للناس من شخص يحملهم على مصالحهم وينزعُهم من مفاسدهم بالقهر"، ومجتمع بدون قائد قد يفضي إلى " الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم".
٣. الأعمال والوظائف الضرورية لرفاه المجتمع توزع على أفراد ذوي كفاءة ومقدرة.
٤. المجتمع يعمل (ككل) من خلال تعاون أفراده.
٥. لكل مجتمع بقعة معينة من الأرض: "كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تتعدى عليها".وضمن البقعة الجغرافية يعمل الناس معًا لحفظ المجتمع والدفاع عنه ضد الأعداء، ويقومون بتنفيذ القوانين بما فيها القيود على السلوك وجمع الضرائب وغيرها من المتطلبات.
٦. للمجتمع ثقافة معينة،فالثقافة تتكون من عناصر ومزايا عديدة في هذا العالم، مثل الكتابات والآراء التي انحدرت إلى جميع الشعوب وفي مختلف الأزمنة والاختلافات بين الثقافات يأتي نتيجة التباين في القوانين والتنظيمات الدينية والمعرفة.
٧. الانتماء والولاء للمجتمع، فبقاء المجتمع لزمن طويل يعتمد على التماسك الاجتماعي (العصبية) أو الإحساس بالانتماء والولاء للمجتمع. فالعصبية تقرر استمرارية المجتمع الإنساني، فكلما كانت العصبية قوية كلما كان بإمكان المجتمع التمتع بالبقاء.

٢-٤ أنواع العمران البشري عند ابن خلدون:

إن العمران البشري عند ابن خلدون يعني مجموعة مركبات البنيات التحتية والفوقية للمجتمع، ولاحظ ابن خلدون نوعين من العمران هما (الدقس ،٢٠٠١م، ص٣٨١):

١. العمران البدوي.
٢. العمران الحضري.

ويفرق البعض بين ما أطلق عليه ابن خلدون العمران البدوي والعمران الحضري بمايسمى "بالحضارة البدائية والحضارة المتمدنية "(Mahdi,١٩٦٤,p١٩٣).

٢-٤-١ العمران البدوي:

العمران البدوي: "هو الذي يكون في الضواحي وفي الحلل المنتجة في القفار وأطراف الرمال"، وهو الذي يقتصر فيه على الضروري من أسباب المعاش فتعاون أهل البدو في "حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكِنِّ والدفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويُحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه عما وراء ذلك" (المقدمة ، ص٤٠٨) ، ويقصد به ابن خلدون (فئة سكان البادية الذين يمتهنون تربية الإبل والماشية وسكان الريف الذين يمتهنون الزراعة)، وكلاهما البدو (الدقس،٢٠٠١م،ص٣٨٢) ، فالعمران البدوي يهتم بدراسة سكان البادية والقبائل وطرق معيشتها والعادات والتقاليد السائدة فيها (عبد الجبار،٢٠٠٧م،ص١٢٢).

لذا فالعمران البدوي مرتبط بالبادية التي هي مفهوم ذو معنيين: اقتصادي وجغرافي، ومن ثمَّ، فإنها تدل على السهل والجبل كما تدل على الصحراء. وجملة القول، أنها تعني كل المساحة الموجودة خارج أسوار المدينة، ففي هذه البيئة الطبيعية تعيش جماعات اجتماعية واقتصادية يشكل عمرانها طريقة حياة البادية. كما يشكل تقانتها، سواء كانت هذه الثقافة مادية أو لامادية (مغربي،١٩٧٨م،ص١٣١).

إن أصناف المجتمع البدوي تتميز عن بعضها البعض بحسب الأساليب التي تعتمدها كل منها في تحصيل معاشة، وبحسب ما إذا كانت الجماعة تعتمد على الفلاحة والزرع أم على تربية الماشية من أبقار ومعز أم على تربية الإبل (علي وآخرون،٢٠٠٤م،ص١٤٦).

وبناءً على ذلك يمكن تصنيف أنواع العمران البدوي كما يلي (طالب ،٢٠٠١م،١٥٥):

- من كان معاشه منهم وعلى الزراعة والقيام على الفلح كان المقام به أولى عن الظعن وهؤلاء سكان المدن والقرى والجبال.
- ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياد المياه لحيواناتهم، فالتغلب في الأرض أصلح بهم، ويسمون (شاوية) ومعناه القائمون على الشاة والبقر.
- وأما من كان معاشه في الإبل فهم أكثر ظعناً وأبعد في القفر مجالاً لأن مسارح الرعي ونباتها وشجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة.

ومن هنا نجد أن المجتمع البدوي يتميز بما يأتي (باستيفيا ،١٩٨٦م،ص٤٠٩):

١. الاقتصاد الزراعي أو الحيواني أي الوسيلة السهلة المباشرة للحصول على مقومات الحياة.
٢. المستوى المنخفض في الإنتاج والاستهلاك.
٣. التعلق ببيئة معينة وحالة معينة للإقامة.
٤. خضوع المجتمع البدوي سياسياً واقتصادياً للمدينة.

٢-٤-٢ العمران الحضري:

هو الذي يكون في الأمصار والقرى والمدن للاعتصام بها، والتحصن بجدرانها وله في هذه الأحوال أمور تعرض له من حيث الاجتماع عرضاً ذاتياً، وهو العمران القائم على توافر الكماليات بسبب الغنى والرفه مما يدعو إلى الدعه والسكون ، وقد سمي الحضر حضراً لأنهم الحاضرون أهل الأمصار والبلدان، فيقول ابن خلدون: "ومن هؤلاء من انتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو، لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم" (المقدمة ،ص ٤٠٩) ، ويقصد به سكان الحضر الذين يمتهنون الصناعة والتجارة فالعمران الحضري تعرض فيه نشأة المدن والأمصار ومواطن التجمع، وما تحتضن به المدن من المظاهر العمرانية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية(عبد الجبار ،٢٠٠٧م،ص١٢٢).

ويذكر ابن خلدون حياة البداوة والحضارة بشكل عام و يتوسع بوجه خاص في إظهار تأثيرات حياة البداوة والحضارة في الأخلاق والعقول، ويقوم هذا التقسيم على أساس طبيعة البيئة التي يعيش فيها أهل البادية وأهل الحضر، وما تفرضه هذه البيئة من أساليب معاشية. ولم يفرق بين أهل الريف والبدو، أو بالأحرى بين سكان القرى وسكان البادية، بل اعتبرهما فئة واحدة هي فئة البدو مقابل فئة الحضر سكان المدن التي تمثل القطب الثاني في تقسيمه للعمران، علماً بأنه ميز بين حياة الريفيين وحياة البدو باختلاف وسائل الإنتاج وأساليب المعيشة.

ومن هنا نجد أن المجتمع الحضري يتميز بما يأتي(باستيفيا ،١٩٨٦م،ص١٨٤):

١. الاشتغال بالصناعة والتجارة.
٢. المستوى في الاقتصاد والاستهلاك والثقافة.
٣. درجة كبيرة من الأمن بالتحصن وراء جدران المدن.
٤. الاستقلال الاقتصادي والسياسي عن المجتمع البدوي.

الفصل الثالث
المناقشة والنتائج والتوصيات

إن أهم مايُميز مقدمة ابن خلدون بما فيها من آراء ونظريات اجتماعية و اقتصادية وتربوية وثقافية وسياسية وجغرافية ولغوية ، أن أكثرها قابل للتطبيق في كل مكان وزمان وسيظل ابن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حجة في نظر الباحثين في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وستظل مقدمته صالحة للإستفادة منها في جميع مناحي الحياة (فرج الله ، ٢٠١٧، ص٧) ، بالرغم من أن أفكاره فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع قد وقعت في التاريخ الماضي ، إلا أنه من الصعب نسبتها إلى هذا فقط ، حيث امتدت لكي تكون صادقة حينما توفر سياقها الاجتماعي(ليلة، ٢٠٠٠،ص١٢٨).

٣-١ ملامح العمران البشري :

في رأي ابن خلدون أن المجتمعات البدوية تكون سابقة على المجتمعات الحضرية لأن البداوة مرحلة أولية من مراحل الحياة الإنسانية التي لابد من اجتيازها، فيتطور الإنسان من مرحلة الضروريات إلى الكماليات أي من مرحلة البداوة إلى الحضارة(خضير ، ٢٠٠٣م،ص١٥٥).

ولا يكتفي ابن خلدون بتصنيف أنماط المعيشة والقوى الاجتماعية من بدو وحضر بل يقارن بين السمات التي يتميزان بها، ويبحث في طبيعة العلاقات بينهما ، فيرى عالم الاجتماع العراقي "علي الوردي" أنَّ نظرية ابن خلدون تدور في الأساس حول "البداوة والحضارة وما يقع بينهما من صراع"، فهو يعتبر أنَّ "تاريخ المجتمع البشري يسير في دورات متتابعة من التصارع بين البدو والحضر" (بركات ، ٢٠٠٩م،ص١٢٧).

ولقد فسر ابن خلدون أسباب ظاهرتي البداوة والتحضر بإرجاعهما إلى عوامل اقتصادية وسياسية وطبيعية ودينية، كما أوضح أن الظواهر الاجتماعية المختلفة لا تتوقف بينها على حد التأثر فقط بل يتسع بالضرورة إلى حد التأثير أيضاً، وبحيث يستتبع أي تغير في ظاهرة ما تغير في غيرها من الظواهر المرتبطة بها بصرف النظر عن حجم ونوع ذلك التغير(العادلي ، ١٩٨٥م،ص٤٢).

ولمعرفة ملامح العمران البشري عند ابن خلدون **لابد من المقارنة مابين العمران البدوي والحضري على النحو التالي:**

٣-١-١ الصنائع في العمران البدوي والعمران الحضري:

الصناعة كما حددها ابن خلدون هي ملكة في أمر عملي فكري والملكة صفة راسخة تحصل من استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأجر تكون الملكة أرغب وأتم من نقل الخبر والعلم.

فيقول ابن خلدون: "إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروري، والمركب هو الذي يكون ذو الكماليات، والمتقدم منها هو البسيط لبساطته أولاً، ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله" (المقدمة ،ص ٩٢٣).

وهنا يلاحظ ابن خلدون أن الصنائع منها البسيط وهو ما تعلق بالضروريات كما هو في العمران البدوي، والمركب الذي يتعلق بالكماليات كما هو في العمران الحضري، وتنظم بواسطة الفكر من القوة (الكامنة) إلى الفعل (العمل) بالاستنباط شيئاً فشيئاً على نمط حتى تكمل. ولا يحصل ذلك دفعة واحدة وإنما بأزمان وأجيال، وتزيد كلما تزايدت الحضارة (رعد،١٩٨٥م،ص٢٧١).

فإن التفريق بين العمران البدوي والعمران الحضري مبني على طبيعة الحياة الاقتصادية ووسائل العيش، حيث يعتمد أهل البداية في إنتاجهم الاقتصادي على الماشية، والزراعة، فيما يعتمد أهل الحضر على الصناعة والتجارة، أي باختلاف نحلتهم في المعاش بتعبير ابن خلدون يؤدي إلى اختلاف الأجيال. فيرى أن التباين بين البدو والحضر إنما هو تباين في درجة الصنائع واختلاف طرق المعاش بوجه عام. ومن المعروف أن المجتمع البدوي يكتفي أفراده بالضروري من معيشتهم، في حين إذا اتسعت أحوال المنتحلين للمعاش، وزاد الغني، فإنهم يستكثرون من الأقوات والملابس وغيرها وتتنوع صناعاتهم، فهؤلاء هم الحضر(الدقس ،٢٠٠١م،ص٣٨٥).

فيقول ابن خلدون: "اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط مثل الحاجي والكمالي، فمنهن من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها. وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة" (المقدمة ،ص ٤٠٧).

ففي المجتمع البدوي (الريفي البدائي) يقتصر أمر الصناعة على الحرف الضرورية التي تشبع حاجة المجتمع المحلي لأن معيشتهم تتصف بأنها في الضروري، فشظف العيش يجعلهم يمرون بأوقات عسيرة(البراوي ،١٩٨٥م،ص٩٨) ،فالحرف في البداوة ليست متنوعة ومعقدة كما هو الحال في الحضارة، بحيث أن الاختصاص أكثر وضوحاً في المناطق الحضرية، فتنوع الحرف الحضرية يتطلب الاختصاص والكمال ويحصل هذا إذا كان هناك عدد كبير ممن لهم ملكات أو كفاءات(البعلي ،١٩٩٧م،ص١١٨).

وبهذا فالصنائع في حياة البداوة لا تقتصر لذاتها، وإنما تقتصر على تحقيق ضرورات الحياة، ذلك أن الفرد في العمران البدوي يكتفي بالحد الأدنى منها فتكون صناعاته بسيطة ومحدودة، وغير متنوعة، لكن حينما تتحول حياة البداوة إلى حضارة ، أي الانتقال من العمران البدوي إلى العمران الحضري، فإن الصناعات تزدهر ولا تصبح مرتبطة بضرورات الحياة فحسب بل تتعدى ذلك إلى الرياش والكماليات والتأنق، ويسعى الناس إليها كهدف في حد ذاتها وبذلك تصبح على درجة عالية من الإتقان(الدقس ،٢٠٠١م،ص٣٩٤).

ويؤكد ابن خلدون أن الصنائع للكماليات من متطلبات المدن، أي العمران الحضري،وليس من متطلبات العمران البدوي الذي يكتفي بالصنائع القليلة البسيطة غير المعقدة كالنجارة، والحدادة وما شابه ذلك، أي تنوع الصنائع وجودتها لا تتوفر إلا في العمران الحضري، والسبب في ذلك زيادة الطلب على هذه الصنائع يؤدي إلى التفنن في إتقانها(رعد،١٩٨٥م،ص٢٤٦)، وبالتالي تتكامل الصنائع بتكامل العمران الحضري وتكثر بكثرته، أي أن ابن خلدون قد اعتبر من الناحية المنهجية أنّ الصنائع متغير تابع و العمران متغير مستقل، بمعنى أن الصنائع تتبع العمران في الكمال و الكثرة، حيث ينصرف الناس إلى الكمالات من المعاش بعد أن يكونوا قد ضمنوا ضرورات المعاش وعلى مقدار العمران الحضري للبلد تكون جودة الصنائع والتجارة وما يطلب منها. وإذا وجدت مثل هذه الصنائع في العمران البدوي فتكون قليلة وليست كاملة بل هي بقدر الضرورة سواء كانت حرفاً كالحدادة والخياطة وغيرها (رعد،١٩٨٥م،ص٢٤٧).

ومن هنا نجد أن الصنائع لا تظهر أو تزدهر إلا عندما يصل المجتمع إلى مستوى معين من الحضارة بحيث يكون قد أمَّن الضروريات وتجاوزها إلى الكماليات فتبدأ بالصنائع والعلوم ويكثر العمران، وعلى مقدار العمران يكون التفنن في الصنائع،

فالعمران البدوي لا يحتاج إلى الصنائع، بينما المدن تحتاج إليها والصنائع تولّد صنائع أخرى وزيادة العمران تخلق صنائع تصبح مصدر رزق لأصحابها وتكون في نفس الوقت صنائع مفيدة ولازمة لترف الحضارة. فعمران الأرض وانتقال المجتمعات من طور الحضارة يقتضي تطوراً كمياً ونوعياً في الصناعات. كما أن التطور في الصناعات والعلوم يدفع بالمجتمع البشري إلى مزيد من التطور والتحضر، وبالتالي فإن الصنائع تتجه للحياة الحضرية بمقدار ما هي سبب لها، فكلما ازدادت أحوال العمران ازدادت الصنائع تنوعاً أحوال العمران ازدادت الصنائع تنوعاً واستجابة ورسوخاً.

نلاحظ مما سبق أن الحياة البدوية كانت تسعى فقط من أجل ضروريات الحياة وهذا مرتبط بطبيعة الحياة البدوية التي هي في الغالب حياة تنقل وترحال لذلك لا تسعى إلى الترف والكمال. بالمقابل نجد أن ضروريات الحياة الحضرية تتصدى الحاجات الضرورية إلى ما يصل إلى الترف والكماليات وهذا بالطبع يحتاج إلى الصنائع بشتى أنواعها وكذلك يحتاج إلى تطور هذه الصنائع بما يضفي على الحياة قدرًا أكبر من الترف للوصول إلى الكماليات.

٣-١-٢ العصبية في العمران البدوي والعمران الحضري

تعتبر العصبية (التضامن الاجتماعي) من أهم المصطلحات التي استعملها ابن خلدون في كتاباته، ويمكن القول أنها أهم عامل في تطور المجتمع وأساس نظريته عن الدورة التاريخية. فالعصبية رابطة اجتماعية يمكن بواسطتها قياس قوة وتماسك وثبات الجماعات الاجتماعية(البعلي ،١٩٩٧م،ص٦٢). وتعد العصبية عند ابن خلدون مفهوماً متميزاً اجتماعياً وسياسياً فهو يرى أن العصبية شعور نفسي – اجتماعي ذو معنى تضامني بين الفرد وأهل عصبيته الذي ينتمي إليهم بواسطة النسب القريب أو البعيد(الدقس ،٢٠٠١م،ص٧٤٢).

ويعرفها محمد الجابري بأنها رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معًا،تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطًا مستمرًا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد: كأفراد أو جماعة(الجابري ،١٩٨٥م،ص٢٥٤).

فللعصبية مظهر جدلي حيث تمر بثلاث فترات كل واحدة منها تعارض الآخريات(رعد،١٩٨٥م،ص٤٢):

أولاً: تقوم العصبية في مرحلتها الأولى (الفترة البدوية حيث القبيلة مازالت على صفائها الفطري) على المساواة، وترفض كل سلطة مطلقة، بل كل حكم مركزي منظم، فتكون قوة في "ذاتها" ، "ولذاتها" ، وحين تستغل تلك القوة تصبح قدرة غازية كفيلة بإنشاء دولة. غير أنه متى نشأت الدولة تدهورت العصبة قبل أن تتلاشى نهائياً.

ثانياً: في فترة العمران الحضري عندما تبلغ العصبية ما كانت تسعى إلى تحقيقه، تأخذ في القضاء على نفسها ، فتتبدد المساواة التي هي روح "الديمقراطية" القبلية التي تطبع العمران البدوي تحت وطأة استبداد حاكم أو جماعة صغيرة من الرؤساء وأسرهم.

ثالثاً: في الفترة هذه تبدأ عندما تجسد الأرستقراطية الجديدة التي حلت محل العصبية، قوى أجنبية لتدافع عن الامتيازات وعن ترف حياة العمران الحضري.

ويظهر مفهوم العصبية في الجوانب التالية(البعلي ،١٩٩٧م،ص٦٢) :

١. العصبية وإن كانت أقوى عند البدو منها عند الحضر، فهي لا تقتصر على البداوة، فقد استعمل ابن خلدون هذا المصطلح كأساس للتفسير التاريخي للحياة الاجتماعية في المجتمعات البدوية والحضرية.

٢. ليس من الضرورة أن تكون العصبية مبنية على علاقة الدم، فلقد أدرك ابن خلدون وجود تضامن اجتماعي في جماعات غير العائلة وغير القبيلة، لأن العصبية تأتي نتيجة التفاعل الاجتماعي المبنية على تجارب طويلة متبادلة وعلى فعاليات المهن المختلفة.
٣. العصبية ظاهرة طبيعية عامة لا تقتصر على شعب دون آخر، فقد ذكر ابن خلدون عصبيات أخرى لأقوام غير عربية مثل الفرس واليهود والأشوريين والإغريق والرومان والأتراك والبربر.
٤. العصبية لها علاقة بالبنية الاقتصادية للمجتمع، فالعصبية وإن كانت بدائية وقوية ولها ميزات خاصة فهي نتيجة طريقة المعيشة في البداوة وبمضي الزمن تصبح السبب الرئيسي في تغير هذا النوع من المعيشة نفسه إلى نوع آخر يختلف تماماً في المناطق الحضرية.
٥. هناك علاقة متينة بين العصبية والدين (كمؤسسة اجتماعية وكوسيلة ضبط اجتماعي). فالدين يزيد من تضامن الجماعة، فيؤكد ابن خلدون على الوظيفة الاجتماعية للدين (اتحاد الناس) يظهر في انجازات العرب بعد أن أسلموا، فعندما امتزجت الروح القبلية (العصبية) مع بعض جوانب الدين أصبح العرب متدينين جداً وأبدو حماساً مذهلاً، وإخلاصاً وتفانياً للإسلام بعد وفاة النبي. محمد صلى الله عليه وسلم عندما وجهت عصبيتهم ضد الكفار خارج الأرض العربية، كما اعتقد ابن خلدون أن الدين نفسه يحتاج إلى عصبية أو تضامن اجتماعي.
٦. ومع ذلك يرى Gorge Lapica (١٩٦٦م) أن ابن خلدون أكد على دور الغصبية إلى حد قدمها على الدين .
٧. العصبية لها تأثير عظيم على السياسة. إن أي حكم لا يمكن أن يقوم، وأن أي دولة لا يمكن أن تنشأ بدون عصبية قوية، فإذا ذهبت تلك العصبية ودب الضعف في أعضاء الدولة فقد "عظم الخلل".
٨. **ويمكننا أن نلخيص جوانب العصبية التي لها علاقة بالسياسة كما يلي:**
٩. ثبات الزعامة حيث يعتمد على التفوق، والتفوق يعتمد على العصبية.
١٠. يحتاج الفرد إلى تعاون وحماية جماعته (الحكومة،الدولة) التي تشاركه نفس العصبية.
١١. السلاح قد يزيد الجماعة بأساً ولكنها تحتاج إلى شيء آخر دفاعها ضد العدوان: العصبية (الولاء والتضامن الاجتماعي المتين).
١٢. العصبية لا تعني فقط ملكاً أو سلطة اجتماعية أو نفوذا اجتماعياً، إنما تعني أيضاً حسن السلوك. وبهذا يتم التكيف والاحترام المتبادل بين القادة والتابعين.
١٣. أمد العصبية (عمر الدولة) يعتمد على القوة العددية أي على نسبة القائمين بها.
١٤. الدولة (أو الحكومة الحضرية) هي هدف العصبية؛ والحياة الحضرية (الابتعاد عن ضرورات الحياة والمعيشة وطلب الرزق والراحة ووسائل الترف) هي هدف أهل البداوة، ولن يتم ذلك إلا بقوة عصبيتهم.

***العصبية في العمران البدوي عند ابن خلدون:**

استعرض ابن خلدون أشكال العصبية وحدد صورها المختلفة وتتبع أدوارها في حياة البداوة، وذلك على الوجه التالي (الفوال ،١٩٦٧م،ص٣٩-٤٢):

١. مصدر العصبية: ويردها إلى الطبيعة البشرية وإلى أثر القرابة في الحياة الاجتماعية، وإلى أنها "نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا". واعتبر أن العصبية تتولد من التي تستند على وحدة النسب، وحتى وحدة النسب هذه تكون على درجات ومراتب متفاوتة من حيث "قوة الاتحاد والالتحام" من عدمه. ووسع ابن خلدون مفهوم النسب وضمَّنه الحلف والولاء كمصادر للعصبية.

٢. العصبية من خصائص البداوة: ومرد ذلك إلى أن النسب – أساس العصبية – يبقى محفوظاً وصريحاً في الحياة البدوية، والعصبية المتولدة منه تكون قوية في تلك الحياة.

٣. الأدوار التي تلعبها العصبية في حياة المجتمع البدوي: وهي في رأي ابن خلدون كثيرة وهامة ومنوعة ويمكن انجازها فيما يلي:

– العصبية تحمل الأفراد على التناصر والتعاضد في المرافقة والحماية والمقاتلة.

– تلعب العصبية دوراً هاماً في تأسيس الملك وتكوين الدولة لأن "الغاية التي تجري بها العصبية هي الملك، وإنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما بالعصبية". وليس هذا فقط فابن خلدون يقرر أنَّ "اتساع الدولة يكون متناسباً في قوة تلك العصبية".

– إن العصبية عنصر أساسي في كل أمر يحمل الناس عليه من بنوءة أو إقامة ملك أو دعوة أو قتال.

٤. العصبية سلاح ذو حدين: فبينما يقرر ابن خلدون من جهة أن العصبية ضرورية لتأسيس الدولة يلاحظ من جهة أخرى أن العصبية قد تعرقل قيام الدولة أو استمرارها وذلك إذا كانت متعددة ومتحالفة مع ما يستتبع ذلك من تنوع في الآراء والأهواء وما يرتكز عليه هذا التنوع من عصبيات تشد أزره الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى الخروج على الدولة وانهيارها.

٥. العلاقة بين العصبية والدين وأثر ذلك على البداوة: يبين ابن خلدون أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم، ويلقي ابن خلدون الضوء على التشابه بين كل من العصبية والدين ويقرر أن الديانة تؤلف القلوب وتوجهها إلى وجهة واحدة، وتذهب التنافس والتحاسد وتحمل على التعاون والتعاضد تماماً كالعصبية حيث أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على العصبية التي كانت لها من عُددها. فالاجتماع الديني عند ابن خلدون يضاعف قوة العصبية. أما أثر الدين في البداوة فيقرر ابن خلدون أن الدين يلعب دوراً هاماً في جمع كلمة القبائل وتعاضدهم.

فأثناء مرحلة العمران البدوي "يوجد صراع بين مختلف العصبيات على الرئاسة ضمن القبيلة الواحدة، أي العصبية العامة حيث: (.. إن كل حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد أوأهل بيت واحد أو أخوة بني أب واحد، لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين، فهؤلاء يشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام، والفرد يقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام، إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة). ومن هنا ينجم التنافس بين مختلف العصبيات الخاصة على الرئاسة التي تفوز فيه، بطبيعة الحال العصبية الخاصة الأقوى التي تحافظ على الرئاسة إلى أن تغلبها عصبة خاصة أخرى وهكذا(الوردي ،١٩٨١م،ص٣٨٠).

***إن العصبية كرابطة اجتماعية تجعل الشعب متماسكاً سواء كانت العصبية نتيجة رابطة الدم أو كانت عصبية حلف، فهي تعمل في جبهتين هما (الدقس ،٢٠٠١م،ص٧٢٥) :**

أولاً: التضامن والقوة في نفس جماعتها.

ثانياً: توحد بالقوة بين مختلف العصبيات المتعارضة لتكون جماعة إنسانية موحدة، فالعصبية ظاهرة اجتماعية بالإضافة إلى كونها ظاهرة طبيعية لدى المجتمعات الإنسانية، حيث تشتمل في وجودهاعلى القوة والتي تستخدم في الحماية والدفاع عند وقوع العدوان على أهل الحي أو المدينة أو العشيرة، فهي أوجدت التضامن والقوة في نفس جماعتها.

وفي هذا المعنى يمكن التأكيد على أن مفهوم التعاقد عند ابن خلدون يستند على مفهوم العصبية **(فرج الله ، ٢٠١٧، ص٧).**

*** الوظيفة الاجتماعية للعصبية في المجتمع البدوي:**

يرى ابن خلدون أن وظيفة العصبية تنشأ من مبدأين هما(الدقس ،٢٠٠١م،ص٧٢٩) :

- المبدأ الأول: التجمع الإنساني، فالفرد يعيش ضمن مجتمع، يتعاون أفراده من أجل تحقيق حاجاتهم الضرورية لأن الفرد عاجز أو غير قادر على القيام بتأمين احتياجاته منفرداً
- المبدأ الثاني: أن النفس البشرية تحمل في ثناياها الشر والعدوان فالإنسان يحتوي في داخله الشر والخير، والحياة الاجتماعية تتطلب وجود الحاكم (الملك) أي وجود سلطة، تحافظ على المجتمع متماسكا وتزيد من التعاون بين أفراده وصد العدوان.

ففي العمران البدوي تتمثل وظيفة العصبية في حماية القبيلة من العدوان التي يأتيها من الداخل والخارج، فهي قوة المواجهة من أجل المحافظة على العمران البدوي، وما يترتب على ذلك من استمرارية الوجود القبلي، وهي تقوم بوظيفتها في الحماية الداخلة، أي منع العدوان بين أهل العصبة لواسطة رؤساء القبائل وشيوخها لما يتميزون به من قوة العصبية لمكانتهم الخاصة في قبيلتهم؛ أما العدوان الخارجي فيصده فتيان القبيلة لما لهم من قوة العصبية.

ومن أهم الوظائف الاجتماعية للعصبية الاجتماعية ما يلي (الدقس ،٢٠٠١م،ص٧٢٩):

- تؤدي إلى تنظيم علاقات القبيلة في الداخل والخارج، أي بين أفراد القبيلة الواحدة من جهة، وبين أفراد القبيلة والقبائل الأخرى من جهة ثانية. أي أنها تكون الإطار التنظيمي لأهل العصبيات فتتأطر بموجبها العلاقات الاجتماعية كافة.
- تؤدي العصبية إلى التعاون بين أهل العصبية الواحدة من جهة وأهل العصبيات المتحالفة من جهة أخرى، ويبدو ذلك في دفع العدوان، أو القيام به، من أجل تحقيق مصلحة مشتركة، أي أنها الوسيلة الوحيدة لهذا التعاون لعدم توافر أية وسيلة أخرى في ظل الأوضاع السائدة في المجتمع القبلي.
- تؤدي العصبية إلى حفظ كيان القبيلة، أي كيان المجتمع القبلي بالمحافظة على بنائه الاجتماعي من خلال التضامن، والتكتل ومجابهة الصراع الذي هو صراع وجود، نظراً لقساوة الظروف الطبيعية، وضآلة الإنتاج، فيصبح الصراع أمراً طبيعياً من أجل حفظ كيان القبيلة من الانقراض والذوبان، أي أنها تحفظ استقلالية المجتمع القبلي في نهاية الأمر.
- تحافظ العصبية على شجرة النسب من خلال التلاحم العصبي الذي يكون أقوى في النسب القريب منه في النسب البعيد.

- تقوم العصبية باعتبارها أساس التطور الاجتماعي بتدعيم المساواة بين أفرادها في الحقوق والواجبات، وإلغاء التمايز الطبقي من حيث المبدأ العام، وإن وجد تمايز في المكانة الاجتماعية، إنما يقود ذلك لما قدمه الفرد نحو أهله أكثر من غيره، فهي تدعيم "الغيرية على حساب "الذاتية" أي ذوبان الأنا في سبيل الأنا العصبي، وبموجبها يتأطر سلم القيم من شجاعة، وكرم، وخصال حميدة، أي أنها تسير أخلاق المجتمع القبلي في نهاية الأمر، وتكون ناجحة إذ عملت على إحلال العلاقات التعاونية والتضامنية محل العلاقات التنافسية بين أهل العصبية.

*** الوظيفة السياسية للعصبية في المجتمع البدوي والحضري**

يلعب مفهوم العصبية دوراً هاماً في النظرية الاجتماعية لابن خلدون فالعصبية تبرز كأساس سياسي للمجتمع البدوي، وأساس متوارث لسلطان الدولة، وقوة لابد منها بتوطيد الدول الناشئة وإسقاط الدول الهرمة (باستيفيا ،١٩٨٦م،ص٢٠٤).

فأهم وظيفة للعصبية عند ابن خلدون هي الوظيفة السياسية التي تتمثل في الوصول إلى الملك والاحتفاظ به أي بناء الدولة؛ وفي المجتمع البدوي والمجتمع الحضري تتمثل هذه الوظيفة في صد العدوان لأن الطبيعة الإنسانية تنزع إلى العدوان بالفطرة لذا كان لابُدّ من وازع أي حاكم.

وهذا الوازع تفرضه ضرورة الاجتماع والتعاون لتحصيل الغذاء، ومثلما كانت طرق كسب العيش وبالتالي أسلوب المعاش تختلف في البادية عنها في المدينة، فإنه من المنتظر أن يختلف الوازع هنا عن الوازع هناك، فالحياة في البادية قائمة على البساطة والفطرة، لأن الفلاحة، وهي النحلة المعاشية السائدة هناك بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج إلى تفكر وعلم. أما في المدن فإن الحياة معقدة إذ هي تقوم أساساً على الصنائع، وهي مركبة وعلمية تتصرف فيها الأفكار والأنظار بمختلف التصرفات والحيل. فينعكس هذا الاختلاف في أسلوب المعاش بين البادية والمدينة على طبائع الناس وأخلاقهم وعاداتهم ومختلف أنماط سلوكهم، وبالتالي تنعكس على الروابط الاجتماعية التي تشد الأفراد بعضهم إلى بعض للتعاون على أمور العيش، بل على شؤون الحياة عموماً، ومن ضمنها مسألة الوازع هذه، وهكذا فإن بساطة الحياة في البادية لا بد أن تجعل من الوازع فيها وازعاً طبيعياً فطرياً، مثلما أن تعقد الحياة الحضرية سيضفي نوعاً من التعقيد والتركيب على الوازع السائد فيها.هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه كما كانت الحاجة إلى الوازع إنما تفرضها الطبيعة العدوانية التي في البشر، فإن الوازع سيختلف سواء في البادية أو في المدينة باختلاف نوع العدوان(الجابري ،١٩٨٥م،ص٢٤٧).

إن تأكيد صاحب المقدمة على العصبية وعلى أهمية البنى القبلية في بناء الدولة ،لأن القبيلة ظلت الخلية الاجتماعية الأكثر نقاء (هادي ، ١٩٩٧،ص٧٨)، **فيرى ابن خلدون في هذا الخصوص أن أحياء البدو معرضة لنوعين من العدوان هم (الدقس،٢٠٠١م،ص٧٣٣):**

- **العدوان الداخلي:** ومصدره داخل القبيلة، أي اعتداء أفرادها على بعضهم البعض، فالوازع لهذا العدوان يكون من قبل أكابرهم ومشايخهم لما لهم من الوقار والاحترام عند قومهم، وهذا نابع من مكانتهم المميزة لدى قومهم.
- **العدوان الخارجي:** ومصدره خارج القبيلة كالغزو، فالوازع لهذا العدوان يكون من قبل شجعان القبيلة.

أما في العمران الحضري في المدن والأمصار فيكون العدوان أيضاً على نوعين:

- العدوان الداخلي: ويكون بين أهل المدن بعضهم على بعض فالوازع بينهم يكون الحاكم وأعوانه.

– **العدوان الخارجي:** ويكون من الخارج، فالوازع هو أسوار المدينة والجند...، حيث يرى ابن خلدون أنّ عدوان أهل المدينة بعضهم على بعض يدفعه الحكام، والدولة، وأما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار وأعوان الدولة.

إن السلطة– الحكم– لا تكون إلا بالعصبية، غير أنَّ ابن خلدون يوضح بأن السلطة لا تكون إلاّ للعصبية القوية من أجل التغلب على العصائب الأخرى لكي تلتحم معها فتشكل في لانهاية عصبية واحدة كبرى– عصبية مركبة–، وإذا لم تتوافر لها مثل هذه القوة القاهرة، فإنها لن تصل إلى السلطة.

فإذا كانت العصبية توحد كل أفراد القبيلة وتنشر بينهم المساواة التامة في العمران البدوي، فإن العمران الحضري يزرع اللامساواة بين كل المحظوظين والمحرومين على السواء. إن السير الطبيعي للعصبية يجر حتماً إلى تفككها، فعن العصبية تنشأ الدولة، كقوة منظمة للقبيلة لكنها لا تنمو وتزدهر طبيعياً إلا على أنقاض العصبية التي أنشأتها ففي الآن نفسه، تحمل العصبية هرم الدولة على كتفيها، وتحفر قبرها بيده (علي وآخرون،٢٠٠٤م،ص٩٣).

فالعصبية هي ظاهرة اجتماعية غير ملتحمة بالعمران البدوي على الخصوص، وتظهر بشكل أقل حدة في العمران الحضري، وهي تحمل معنىً وظيفياً، نظراً لما يترتب عليها من آثار في قيام الدول وانهيارها في العمران الحضري وتنظم حياة الأفراد في العمران البدوي، وهي الوعاء الذي يحفظ حياة المجتمع الإنساني أو أساس بقائه وصيرورته أي أنَّ لها وظائف إجتماعية وسياسية مهمة في المجتمع بدوياً كان أم حضارياً.

ويرى الدقس (١٩٩٠م،ص٧٣٣) أنّ قوة العصبية ترتبط بطبيعة العمران، فهي في العمران البدوي أقوى منها في العمران الحضري وذلك يعود لسببين :

- طبيعة الحياة البدوية في الاعتزال، وعدم الاختلاط بغيرهم، مما يبقي أنسابهم صريحة أكثر منها في الحياة الحضرية.
- فقر الحياة البدوية، مما يجعل الصراع مريراً من أجل تحقيق "البقاء" ولا يتم بحقيقة إلا بالتغلب، أي بوجود عصبية قوية، فالعصبية القوية ضرورية في هذه الحالة بشكل أقوى من المجتمع البدوي.

إن الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة يقلل من شأن العصبية الأولى شيئاً فشيئاً، على الرغم من زيادة القوة التي تكتسبها العصبية في طورها الأول، وذلك أن الترف الناشئ عن الملك يُكثر أفراد العصبية، فتزيد الدولة بذلك قوة إلى قوتها في الأصل. غير أنَّ الرسوخ في عوائد الحضارة والأمان من أخطار الطبيعة وأخطار الغزو يذهب بفائدة العصبية الأولى، تتفكك وتنحل، وربما استبدلت بها عصبية الحلف والولاء. مما يساعد على انحلالها ما يقع من اختلاط الانتساب في الحياة الحضرية، فضلاً عن العوامل السياسية، ومما يدلنا على انعدام العصبية في الحياة الحضرية أن كثيرًا من الذين انتقلوا من أمد بعيد من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، ينتسبون إلى مدينتهم لا إلى قبيلتهم. وجملة القول أن العصبية تدوم في المجتمع ما دام المجتمع في طور البداوة، وتأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً بانتقالها من طور البداوة إلى طور الحضارة(الحلو،٢٠٠٦م،ص٨٦).

٣-١-٣ مظاهر أخرى للمقارنة ما بين العمران البدوي والعمران الحضري:

أولاً: البداوة سبقت حياة الحضر، ويذكر ابن خلدون ذلك فيقول: "أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل العمران، والأمصار مدد لها". أي أن المناطق الحضرية مدينة للبداوة، لأن معظم السكان فيها يرجع أصلهم إلى الأرياف والقرى المجاورة ، فأحوال الترف والدعه في المدينة تشجع الفرد البقاء فيها وتبعده عن التفكير بأحوال البادية أو العودة إليها(البعلي،١٩٩٧م،ص١١٨).

فالبدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه؛ وإن الحضر هم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم. ولا شك أنّ الضروري أقدم من الحاجي والكمالي، وسابقٌ عليه ولأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر سابق عليهما، لأنّ أول مطالب الإنسان الضروري، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلاً، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة. ولهذا نجد التمدن غاية البدوي يجري إليها، وينتهي بسعيه إلى مقترحة منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاد إلى الدعة،وأمكن نفسه إلى قياد المدينة. وهكذا شأن القبائل المتبدِّية كلهم. والحضري لا يتشوف إلى أحوال البادية إلا لضرورة تدعو إليها، أو لتقصير عن أحوال أهل مدينته. ومما يدلنا أنّ البدو أصل للحضر ومتقدم عليه، أننا إذا فتشنا أهل مصر من الأمصار، وجدنا أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر، وعدلوا إلى الدِّعة والترف الذي في الحضر. وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة، وأنها أصل لها (الحلو،٢٠٠٦م،ص١٧٧-١٧٨).

ثانياً: أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر والسبب في ذلك كما يقرر ابن خلدون أن أهل الحضر ركنوا إلى حياة الراحة والدعة وتركوا أمر الدفاع لغيرهم من (الموالي) واطمأنوا من حيث الحماية إلى أسوار تحيط بمدنهم وقد ألقوا السلاح ولما توالت الأجيال بعدت الشقة بين الجيل الأول والجيل الآخر حتى صارت حياة الدعة طبيعية ثابتة لهم.

أما أهل البدو ولبعدهم عن أماكن الحضر وسكناهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية والأسوار فقد قاموا بالدفاع عن أنفسهم وأصبحوا على أهبة الاستعداد دائماً للدفاع عن أنفسهم في القفر والبيداء وأصبح البأس خلقاً ثابتاً والشجاعة سجية عندهم.

ويلاحظ أن البداوة والحضارة ليستا صفتين ثابتتين بل إن بين البداوة والحضارة درجات عديدة فيكون بعض الأقوام في حالة انتقال من البداوة إلى الحضارة وقد تتوارى الشجاعة كلما زاد القوم اتصالاً بحياة الحضارة (رعد،١٩٨٥م،ص١١٨).

ثالثاً: أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر ويرجع السبب في ذلك لأن الناس في أول أمرهم يكونون على الفطرة الأولى ومتهيئين لقبول كل ما رد إليهم و ما ينطبع فيهم من خير أو شر، وكذا صاحب الشر، إذا سبقت إليه عوائده.

رابعاً: أهل الحضر أكثر ذكاء من أهل البدو، وأكثر اهتماما بالتعليم والفنون والعلوم، ويذكر ذلك ابن خلدون في فصل التعليم للعلم الذي يعتبر العلم من جملة الصنائع ويتوسع فيذكر تأثير الصناعات ومنها التجارة وغيرها في الأخلاق (رعد،١٩٨٥م،ص١١٨).

فكلما كانت المنطقة الحضرية أكبر حجما زاد اهتمامها بالتعلم، فالأمية قد اختفت عندما نمت المدن الإسلامية نتيجة لممارسة الكتّاب وإنشاء عدد كبير من المدارس، إضافة إلى ذلك فإن الفنون والطب كانت من متطلبات الثقافة الحضرية وإذا كان عند البدو نوع من

الطب فإنه بصورة عامة يعتمد على التجربة الشخصية،وهي تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ومتوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه، وبصورة عامة فالمنجزات العلمية لها جذور قوية في الثقافة الحضرية، فالثقافة الحضرية أكثر ذكاء من البدو، وتبصرهم الأحداثَ أوسع. فالثقافة الحضرية تسهم في الذكاء عند الحضري الذي ينتفع من المنجزات العلمية وخبرات الأجيال السابقة، فكل ذلك يخلق الإجادة في ملكات الصنائع و الآداب في العوائد والأحوال ما لا يعرفه البدوي (البعلي،١٩٩٧م،ص١٢٢).

خامساً : أهل البدو أكثر تديناً من أهل الحضر، وسبب ذلك أن سكان الصحراء والمناطق الريفية ، بعكس الحضريين ، تعودت أنفسهم على الجوع والحرمان، فأصبحوا أكثر إقبالا على العبادة من أهل الترف والخصب.

سادساً : التغير الاجتماعي أقل في البداوة عن الحضارة، فالعادات والتقاليد واللغة وأنماط السلوك الأخرى تتميز بالاستمرارية في المحيط البدائي، ولكن عندما يسافر البدو إلى المناطق الحضرية فإن تلك الخصائص لا تستطيع أن تقف ضد وطأة الحياة الحضرية. وبفقدان العصبة يفقد هؤلاء الناس تقاليدهم، فالتغير الاجتماعي لا مفر منه لا سيما في المحيط الحضري (البعلي،١٩٩٧م،ص١٢٢).

سابعاً : الضبط الاجتماعي الرسمي أكثر جلاءً في المدينة حيث يمكن تفادي الظلم والعدوان باستخدام القوة والقسر الحكومي، إلا إذا جاء هذا الظلم من الحاكم نفسه ، فمثل هذا النوع من الضبط الاجتماعي الرسمي غير موجود عند البدو، إذا المعروف أنهم من أصعب الناس انقيادًا لبعضهم البعض، فالرباط الوحيد الذي يربطهم هو العصبية التي هي بحد ذاتها قوة مقيدة، فهم خاضعون لقواعد تقاليد القبيلة ككل، والمتوقع منهم احترام هذه التقاليد (البعلي،١٩٩٧م،ص١٢٣).

ثامناً: ديمقراطية الزعامة أبرز في البداوة: غير أن زعيم القبيلة يتسم بالتواضع في علاقاته مع رجاله ويحترم مشاعرهم ينقلب عندما يثبت حكمه في المدينة إلى شخص متبلد الإحساس يبدأ باحتقارهم، وقد يُخمد شعورهم بالفخر والزهو الذي يأتي نتيجة انتصارهم على الحضريين، والترف عامل كبير في خلق سور بينه وبين قبيلته، مما يجعل أفراد القبيلة "ينقضون عليه ويحتقرونه". وحسب مفهوم بيكورز (Pigors) أن الحكم الاستبدادي (الأوتوقراطي) يصبح سيطرة أو هيمنة وليس زعامة، ومتى تم ذلك فإن العصبية تبدأ تدريجياً بفقدان قوتها قبل أن تندثر.

تاسعاً: حجم السكان أقل في الأماكن البدوية التي تتميز بكثافة سكان أدنى من تلك التي في الحضارة. وسبب ذلك هو استمرار الهجرة من الأماكن غير الحضرية إلى المدن(البعلي،١٩٩٧م،ص١٢٣).

عاشراً: **الصراع بين البداوة والحضر:** اهتم ابن خلدون بدراسة التفاعل والتصارع بين البداوة والتحضر ، وماينتج عن ذلك من ظواهر اجتماعية مختلفة (Martindale,١٩٦١,p١٣٣)، فابن خلدون في تحديده لخصائص كل من البداوة والحضر ذكر صفات كل منها مغايرة تماماً للأخرى، فإذا كان البدوي شجاعاً لا يهاب الموت فالحضري أحياناً يؤثر الدعة وإذا كان البدوي متوحشاً فالحضري مترفٌ، وإذا كان البدوي طيب الخلق، فالحضري منشغلٌ أفسدته الحضارة وجعلته رخواً ومخادعاً كذاباً، وإذا كان البدوي يدافع عن نفسه بحد سيفه ويفزع لكل هزة ، فالحضري قد وكّل أمر الدفاع عن نفسه إلى الدولة، ولدرجة أنه يستأجر من يتولى هذه المهمة عنه، وإذا كان الحضري أهل علم وصنعه فالبدوي يكره العلم ويبغض الصنعة، وإذا كان الحضري

يحترم حقوق غيره ويشجب النهب والسلب فالبدوي لا يؤمن إلا بغلبة السيف ويمجد السلب والنهب كمظهر من مظاهر القوة والغلبة والسلطان... الخ.

إذًا هنالك تناقض على طول الخط في رأي ابن خلدون بين البداوة والحضر، والنتيجة الحتمية لهذا التناقض–عند ابن خلدون أيضًا– هي الصراع حتى صار هذا الصراع هو السمة الغالبة على العلاقات بين كل من البداوة والحضر واتخذ هذا الصراع أشكال موجات الهجوم المتتابعة من البدو على الحضر ، وهذا الصراع بين البدو والحضر شيء حتمي عند ابن خلدون نتيجة للتناقض بين خصائص كل منهما، ولكن هذا الصراع لا يأخذ شكل المواجهة إلا عندما تقوى العصبية ــ أساس النظام القبلي– بتوحدها نتيجة لدعوة دينية أو ما أشبه لمواجهة العدو المشترك ألا وهو الحضر فتحدث للبداوة عندئذ الغلبة والسلطان، وبغير هذا التوحد فإن العصبيات داخل الإطار القبلي تكون مشغولة بالصراع مع نفسها في معظم الأحيان... تارة من أجل البقاء وأحياناً أخرى من أجل الغلبة والسلطان (الفوال،١٩٦٧م،ص٤٤).

٣-٢النتائج:

وفي ضوء ما تقدم، يتبين أن أسلوب حياة أي مجموعة بشرية يتوقف على أسلوب الحصول على مقومات الحياة، ونوع النشاط الاقتصادي للجماعة، لذا فإن أسلوب الحياة البدوية أو الحضرية يتحدد على الأخص بنوع المهنة التي تسود في مجتمع معين، والتي تلزمه العيش تبعاً لها في مكان أو منطقة معينة ، وهذا يدعم فكرته القائلة بأن الصنائع تتقدم بتقدم المجتمعات، وتتخلف بتخلفها أي بنقصان سكانها وانهيار حضارتها، فالصنائع بالتالي تصبح "هوية" المجتمعات، وتدل على مدى تقدمها، فابن خلدون يربط بين نشأة الصنائع وتطورها بنشأة المجتمع وتطوره من العمران البدوي إلى العمران الحضري، أي أن نظريته في تغاير الصنائع وتطورها تقوم على اختلاف نوع العمران أي باختلاف نوع المعاش المتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية.

كما نلاحظ أن أبرز ما أوضحته النظرية السوسيولوجية الخلدونية أن العصبية أساس البداوة، فلا تستقيم بغير وازع من سلطان أو دين، وأن هناك تفاعلاً بين البداوة والتحضير، وهذا التعامل لا يتم في فراغ وإنما يتم داخل محتوى الدولة التي اعتبرها كالكائن الحي العضوي، لها عمر محسوس قدره بأربعة أجيال.

إن الفوارق التي أبرزها ابن خلدون بين حياة البدو وحياة الحضر ليست حواجز فاصلة بين الطرفين على أساس أن عجلة التاريخ تتحرك باستمرار، و في سياق هذه الحركة يتم الانتقال من العمران البدوي إلى العمران الحضري، إما بفعل ميل طبيعي إلى تخطي الضروري من المعاش نحو الاكتساب التدريجي لأنماط جديدة من الترف والرفاه وذلك لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه ، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لأن أول مطالب الإنسان الضروري ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلاً. فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية البدوي، إما بفعل صيرورة تاريخية شاملة تتمكن من خلالها عصبية غالبة من السيطرة على المدينة أو إقامة سلطتها على أنقاض الدولة المتلاشية.

كما نلاحظ من هذه المقارنة أن:

- بعض تعميمات ابن خلدون قد لا يمكن تطبيقها في الوقت الحاضر، فقد يكون بعض البدو أكثر شجاعة وأكثر جرأة من بعض الحضريين، ولكن لا يمكن القول إن كل أهل الحضر أقل شجاعة من أهل البدو. وإضافة إلى ذلك لم تعد المناطق الحضرية خاضعة للغزو البدوي. فأهل الحضر يجمعهم جيش نظامي وقوة شرطة، وربما أيضاً جند

طوارئ أو مليشيا أو جماعات متحمسة. وهذا يعني أن نوع السلاح وليس القوة البدنية هو الذي يقرر مستوى الحماية، كما أن البدو الرحل في الوقت الحاضر، كالحضريين، خاضعون لقوانين وتعليمات حكومة مركزية. وفي عهد ابن خلدون أيضاً، كان البدو معتمدين على المدينة في أمور عديدة. فهم محتاجون إلى الأمصار بطبيعة وجودهم، فما داموا في البادية، ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الأمصار فهم محتاجون إلى أهلها، ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم إلى ذلك وطالبوهم به.

- أما نمط المعيشة، فقد كرر ابن خلدون أن معيشة البدو وبعكس أهل الحضر تقتصر على ما هو ضروري. غير أننا اليوم بسبب التغير الثقافي، نجد الكثير من "المتع" الحضرية في صحراء السعودية والكويت مثلاً.
- وأما عن قول ابن خلدون إنَّ البدو أكثر تديناً من سكان المدن، فهنالك سؤال يجب طرحه على وجه الدقة، ما الذي يجعلهم أكثر تديناً؟ القارئ لا يجد أدلة مقنعة في كتاباته. ومجرد ذكر الحقيقة بأنهم تعودوا على الجوع والامتناع عن الملذات لا تجعلهم ضرورة "أكثر تديناً".فالإسلام في نشأته إلى حد كبير، دين حضري، فالمساجد الثلاثة المهابة جداً تقع في أماكن حضرية (مكة والمدينة والقدس).

٣-٣التوصيات

سيظل ابن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حجة في نظر الباحثين في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وستظل مقدمته صالحة للإستفادة منها في جميع مناحي الحياة بالرغم من أن أفكاره فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع قد وقعت في التاريخ الماضي ، إلا أنه من الصعب نسبتها إلى هذا فقط ، حيث امتدت لكي تكون صادقة حينما توفر سياقها الاجتماعي، وبما أن البناء الاجتماعي العربي مازال كما قسمه ابن خلون إلى بناء اجتماعي بدوي (بداوة و فلاحة)، وبناء اجتماعي حضري بالرغم من التطور الحضاري والعمراني الذي طرأ على الشكل الظاهر للحياة إلا أنهُ مازال كل بناء يحتفظ بقيمه وعاداته وتقاليده وقيمه، توصي الدراسة بما يلي:

- إبراز دور ابن خلدون في تأسيس علم الاجتماع قبل علماء الغرب وبخاصة أوجست كونت من خلال كافة وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي.
- إبراز دور ابن خلدون في تأسيس علم الاجتماع قبل علماء الغرب من خلال مناهج التربية والتعليم في المدارس من جهة ومن خلال مساقات تدرس في الجامعات العربية .
- دعم مزيد من الأبحاث التي على إبراز دور ابن خلدون في تأسيس علم الاجتماع قبل علماء الغرب مادياً ومعنوياً .
- دعم مزيد من الأبحاث التي تدرس مقدمة ابن خلدون في كافة مجالات الحياة وخاصة الاجتماعية مادياً ومعنوياً.

Abstract

The characteristics of the human architecture in the view of Ibn Khaldoun ' a comparative study: the Bedouin and the urban'

By Najah Hussein Hamad Al-Habarneh

This study addresses the characteristics of the human architecture in the view of IbnKhaldoun as a comparative study between the Bedouin and the urban. The study aimed at demonstrating the perspective that

IbnKhaldoun introduced regarding the nature of the human architecture by comparing the distinctive features and characteristics for the Bedouin and the urban architecture that he mentioned in his introduction in order to identify the main features of the human architecture . the importance of the research lies in achieving more organized analyses and ideas that describe the human architecture clearly; therefore, provides us with a deeper understanding for IbnKhaldoun's view regarding the social reality which he experienced. The researcher used the analytical descriptive approach by relying on the introduction of IbnKhaldoun as a basic source for information . The study showed that IbnKhaldoun is the only sociologist who addressed the Arabic society in terms of the social context, where he divided the Arabic human architecture into a social rural Bedouin architecture that is characterized by the severe racism and lack of handcrafts, as well as an urban architecture that is characterized by the weak racism and plenty of handcrafts based on social economic factors that are in agreement with what is called for by the sociologists in the recent era, which still have a considerable similarity in the division despite the informative, technical , technological , educational , civil and urban development . However, some of the generalizations cited by IbnKhaldoun about Bedouin and urban architecture can't be applied in the recent time.

Key words: human architecture, Bedouin architecture , urban architecture.

*المصادر والمراجع:

ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد ،(١٩٦٠م)، ***المقدمة:" كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"***، تحقيق: عبد الواحد وافي، ط ١، ج ٢، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي.

أبو العينين ، فتحي،(١٩٩٠م) ، التمايز الاجتماعي في العمران البشري : قراءة سوسيولوجية في مقدمة ابن خلدون، ***مجلة جامعة قطر***، ع ١٥، ص ٢٩٩-٣٢٦.

أحمد علي، آزاد وآخرون،(٢٠٠٤م)، ***الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية***، ط ١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

باتسييفا، سفتيلانا، (١٩٨٦م) ، ***العمران البشري في مقدمة ابن خلدون***، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

البراوي، راشد ،(١٩٦٩م)، ***قادة الفكر الإسلامي في ضوء الفكر الجديد***، ط ١، القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة.

بركات، حليم ،(٢٠٠٩م)، ***المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الأحوال والعلاقات***، ط ٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

البستاني، فؤاد، (١٩٥٠م) ، ***العمران البشري على الجملة***، ط ٢، بيروت: منشورات الآداب الشرقية.

البعلي ، فؤاد،(١٩٩٧م) ، ***ابن خلدون وعلمالاجتماع الحديث***، ط ١، دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع والنشر.

بيومي، محمد ،(١٩٩٨م)، ***تاريخ الفكر الاجتماعي***، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

الجنحاني ، الحبيب ،(١٩٨٢م) ، ابن خلدون والتطور العمراني في المغرب العربي ، منشور في : ***ابن خلدون والفكر العربي*** ، تونس : الدار العربية.

حسن الحوسي، حياة ، (٢٠٠٦م)، ***ملامح الفكر الاجتماعي***، ط ١، الإسكندرية: دار المعارف.

الحلو، عبده ، (٢٠٠٦م)، ***ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع***، ط ١، بيروت: دار المعارف.

خضير ، إدريس ،(٢٠٠٣م)، ***التفكير الاجتماعي وأثره في علم الاجتماع الحديث***، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.
السعايدة، جهاد علي ،(٢٠١٤م)، دراسة تحليلية نقدية للمآخذ على فكر ابن خلدون في نظرته للعرب ونظريتي العصبية والدولة والمنهج الذي اتبعه، ***مجلة جامعة دمشق***، م ٣٠، ع٣+٤، ص ٤٩٩.
سعيد طالب، محمد،(٢٠٠١م) ، ***ابن خلدون رائد الفكر الحديث***، ط ١، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر.
شعبان، جمال وآخرون،(٢٠٠٧م)، ***فكر ابن خلدون الحداثةوالحضارة والهيمنة*** ، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
عابد الجابري، محمد،(١٩٨٤م) ، ***فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي***، ط ٤، الدار البيضاء: دار النشر المغربية.
العادلي، فاروق،(١٩٨٥م) ، ***علم الاجتماع البدوي***، القاهرة: دار الكتاب الجامعي.
عبد الجبار، نبيل،(٢٠٠٧م) ، ***تاريخ الفكر الاجتماعي***، ط ١، عمان: دار الشروق.
عبد الغني غانم، عبد الله،(١٩٨٩م) ، ***تاريخ التفكير الاجتماعي***، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.
عبد المولى الدقس، محمد،(١٤٢٠ هـ / ٢٠٠١م) ، العصبية الخلدونية ووظيفتها الاجتماعية والسياسية، ***مجلة جامعة الملك سعود***، م ٢، الآداب (٢)، ص ٧٣٤-٧٥٠.
عبد المولى الدقس، محمد،(١٤٢٠ هـ / ٢٠٠١م) ، سوسيولوجيا الصنائع عند ابن خلدون: دراسة في علم اجتماع العمل، ***مجلة جامعة الملك سعود***، م ١٣، الآداب (١)، ص ٣٧٠-٣٩٣.
فرج الله ، بخنة ،(٢٠١٧م)، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية ، ***مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية*** ، جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي : الجزائر ، ع ٢١، ص ٧-٢٥.
قمامة، محمد و رميلي ، رضا،(٢٠١١م) ، البعد الأيكولوجي للعمران البشري في فكر ابن خلدون، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، ع ١٥، ص ٣٣١-٣٣٨.
الكبابجي ، ناديا،(٢٠٠٨م) ، علم الاجتماع الحضري عند ابن خلدون، ***مجلة آداب الرافدين***:جامعة الموصل، ع ٥١، ص ٦٦-٨٤.
ليلة ، علي، (٢٠٠٠م)، تنظير ابن خلدون على خريطة التنظير السوسيولوجي ، منشور في "***مؤتمر عبدالرحمن بن خلدون : قراءة معرفية ومنهجية***" ، جامعة عين شمس : مركز الدراسات المعرفية.
محمد رعد، سعيد، (١٩٨٥م) ، ***العمران في مقدمة ابن خلدون***، ط ١، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
مصطفى الفوال، صلاح ،(١٩٦٧م)، ***البداوة العربية والتنمية***، ط ١، القاهرة: دار الهنا للطباعة والنشر.
مغربي، عبد الغني، (١٩٧٨م) ، ***الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون***، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس: الدار التونسية للنشر.
مغربي، عبد الغني، (٢٠٠٦م) ، ***الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون***، الجزائر: دار العصبة للنشر.
ناصري، عائشة ،(٢٠١٥م)، ***أسس الدولة ومقوماتها عند ابن خلدون*** ، ورقلة : جامعة قاصدي، رسالة ماجستير منشورة.
هادي ، رياض عزيز ،(١٩٩٧م)، مفهوم الدولة ونشؤها عند ابن خلدون ، ***مجلة العلوم السياسية***، جامعة بغداد : بغداد ، ع٣٧، ص ٧٨-١٠٤.
الوردي، علي ،(١٩٨١م) ،***منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته***، بيروت: دار الفكر.

المراجع الأجنبية :

(Essiasur L IdoelgieMustlmane),SNED,Alger.
A,(١٩٦٥), **The*Study*of*History*** , London,Oxford University.
Lapica . Gorge.(١٩٦٦) :***Politique Et Religion chez IbnKhaldoun***
Mahdi,Muhsin,(١٩٦٤),***''IbnKhalduns Philosophy of the History :Astudy*** in
Martindale,Don: (١٩٦١) ***The Nature and Types of Sociological theory***, London.
Philosophic of the Science of Culture'',theUniv.of Chicago Press. The
Stark.Ronney.(٢٠٠٣).***Sociology, 9th edition,***Thomson,USAToynbee,